

الثلاثاء 27-11-2007

88- سيمفونية المعرفة الكونية بآلات عزف متكاملة (تسابيح)

مقتطف وموقف: سيمفونية المعرفة الكونية بآلات عزف متكاملة (تسابيح)

التصوف الشرقي والفيزياء الحديثة

ابتداء: ليكن في علمكم أني ضد التفسير العلمي للنصوص المقدسة مائة في المائة

موقفٌ قبل المقتطف

لو أنك سألت شابا مصريا، عمره 21 سنة، طيبا مسلما، متفوقا، متدينا، والده مهندس مدني، ووالدته اخصائية اجتماعية، وأخته مسافرة مع زوجها المدرس في دبي، وهو غير متعصب، ويؤدي عباداته بالتزام سلس، ويمارس ما يمارسه الشبان في السر أحيانا، ويستغفر، ويذهب إلى صالة كمال الأجسام أحيانا أخرى، لكنه لا ينتظم في ذلك لأن عضلاته لا تنمو كما يرجو، ولا كما يعده صاحب الصالة،

لو أنك سألته عما يعرفه عن الهندوسية، أو البوذية

يَمْ سيجيبك؟ (خاصة حكاية عبادة البقر والتمثيل!!!)

ولو أنت سألته عن البهائية،

يَمْ سيجيبك؟

ولو أنك سألته عن عذاب القبر،

يَمْ سيجيبك؟

ولو أنك سألته عن الشركات العابرة للقارات وعلاقتها بالرأسمالية المتوحشة بحرب العراق،

يَمْ سيجيبك؟

ولو أنك سألته عن رأيه أين ستذهب طنط تريزا (عمرها 65) سنة، أم صديقه رياض فهمي رياض، سألته أين ستذهب بعد موتها؟ للجنة أم للنار؟ وهل هو أبلغها هو شخصيا ما يمكن أن يجعلها تذهب للجنة، ولماذا لم يبلغها؟

يَمْ سيجيبك؟

ولو أنك سألت فتاة مسيحية طيبة عمرها 19 سنة، متدينة، وليست متعصبة، "تناول" كل أسبوعين أو ثلاثة،

"وتعترف" كل شهرين أو أكثر، ولا تضع مساحيق فجة، وتشاهد "روتانا زمان" مع أمها، كما تشاهد "ميلودي هتس" وحدها، وتتنقن حشو "الكوسة" دون أن تتقطع منها أية واحدة، وتسرح أحياناً فيما لا نعرف، لو أنك سألت هذه البنت التي جمالها فوق المتوسط قليلاً، سألتها نفس الأسئلة، التي سألتها للشباب المسلم الطيب، مع التحويلات اللازمة للضمان، وتبادل مواضع الأديان في الأسئلة،

يَم ستجيبك؟

ولو أنك عدت فسألت نفسك - بعد إذنك - نفس الأسئلة، ولم تسارع باستعمال الألفاظ - التي تعرف أنها انتهى عمرها الافتراضي من فرط سوء الاستعمال في اللقاءات العامة بين رؤساء الأديان - لأنك غير مقتنع بعمق صدقهم، ولذلك تأتي أن تكررهما مثلما يفعلون، أو على الأقل: لأنك لو قلتها مثلهم، وكنت يقظاً بما فيه الكفاية، فقد تنتبه إلى عجزك عن أن تتحمل مسئوليتها، بحق.

يَم ستجيب نفسك؟

(لقد نسيته، تجيب نفسك على ماذا؟ ولماذا تسمع كلامي وتساءل نفسك أصلاً؟)

دع إجاباتك الظاهرة والخفية جانباً، وتعالى إلى منطقة أسلم:

لو أنك توجهت إلى الله سبحانه وتعالى تسأله الرحمة والمغفرة عن كل ما اقترفت من أكاذيب الآن، وأنت تجيب، وأنت تمتنع عن الإجابة، سواء لم تجب أو أجبت على نفسك، أو على من سألك، أو سألته، من دينك أو من غير دينك، نفس الأسئلة أو ما شابهها،

يَم سيجيبك الله سبحانه وتعالى؟

الإجابة التي حضرتني، توجُّهاً إلى وجهه ابتغاء مرضاته تقول:

إنه - سبحانه وتعالى - سوف يرمحك بقدر ما اجتهدت صادقاً في الإجابة.

أما إذا كنت قد استندت في إجاباتك لغير صدقك شخصياً، ولغير عقلك الأخضر الرائع،
..فهو قد يرمحك أيضاً،

لأن الله سبحانه يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به.

ما علاقة كل هذا بالعنوان؟

المساحة التي تتيحها لنا اتساع مجالات المعرفة، وتعدد قنواتها، تجعلنا نحسن القراءة لوجودنا بأكثر من لغة، تتصفر

جميعها لتتعرف على أنفسنا نغما بشريا عازفا في سيمفونية الكون الممتدة إلى وجه الحق تعالى.

في كتاب حديث نسبيا، أشرت إليه في يومية سابقة، يربط المؤلف بين التصوف الشرقي، (الشرق الأقصى بالذات) وبين الفيزياء الحديثة، تعلمت ما لم أكن أعلم عن الهندوسية والتاوية

ومن كتاب "الموت والوجود" ، تعلمت أيضا عن الهندوسية وغيرها

ومن كتاب "الشرق الفنان" لخت معالم خافتة عن كل هذا الشرق الأقصى.

ومن كتاب "تاريخ التصوف الإسلامي" تعلمت الوصلة بين التصوف عند غير المسلمين خاصة في جنوب شرقي آسيا وبين رؤية العارفين بالله من المسلمين.

والآن

سوف أورد المقتطفات بأقل قدر من التعليق حيث أنصو أن الموقف المسبق الذي بدأت به اليومية يمكن أن يكون كافيا.

أولاً : مقتطفات متعددة: من كتاب التصوف الشرقي والفيزياء الحديثة

(1) ص 170

"... حيث لا يوجد أي تمييز بين العقل والجسد، بين الذات والموضوع.. نتطلع حوالينا وندرك أن كل جسم مرتبط بكل جسم آخر ليس فقط مكانياً، بل زمنياً. كحقيقة من حقائق الخبرة الخاصة، لا يوجد مكان بدون زمن، ولا زمن بدون مكان، إنهما متنافذان".

(ثم:) (2) ص 171

"... برأي، إن الحدس الزمني للتصوف الشرقي هو أحد الأسباب الرئيسة في أن رؤاه للطبيعة تبدو مطابقة، بشكل عام، للرؤى العلمية الحديثة على نحو أفضل بكثير من مطابقتها لرؤى معظم الفلاسفة اليونانيين. كانت الفلسفة الطبيعية اليونانية، في مجملها، سكونية في الجوهر وتقوم إلى حد كبير على الاعتبارات الهندسية، فقد كانت، إذا جاز القول، "لائسبوتية" إلى درجة قصوى، وتأثيرها القوي على الفكر الغربي، قد يكون أحد الأسباب في أننا نعاني مثل هذه الصعوبات المفاهيمية الكبيرة مع النماذج اللئسبوتية في الفيزياء الحديثة. أما الفلاسفة الشرقية، من الناحية الأخرى، فهي فلسفات "زمكانية"، ولهذا فإن حدسها غالباً ما يقترّب اقتراباً شديداً من رؤى الطبيعة التي تقتضيها نظرياتنا اللئسبوتية الحديثة".

الموقف

يبدو أن الإعاقة الاختزالية التي تُعزى إلى المنطق الأرسطي، وإلى الختمية السببية الخطية، ترتبط بشكل مباشر بسكونية الجوهر واللاإنشؤنية التي يحاولون تجاوزها الآن،

في حين أننا نبدأ في تقديسها بعد انتهاء عمرها الافتراضي عندهم!!.

(3) ص 244

".... المثال الجميل لصورة الإيقاع والرقص هذه إنما تقدمه الكساندرا....، حيث تصف كيف قابلت لاما يصف نفسه بأنه "معلم الصوت" وأعطاهما التفسير التالى لرؤيته للمادة":

...."كل الأشياء هي مجاميع الذرات ترقص، ومركباتها تحدث أصواتاً. عندما يتغير إيقاع الرقص، فإن الصوت الذى يحدثه يتغير أيضاً.. كل ذرة تنشد نشيدها الخاص بها على الدوام، والصوت في كل لحظة، يخلق أشكالاً كثيفة".

يصبح تشابه هذه الرؤية مع رؤية الفيزياء الحديثة صارخاً على نحو خاص عندما نتذكر: أن الصوت هو موجة ذات تردد معين يتغير مع تغير الصوت، وأن الجسيمات، المكافئ الحديث للمفهوم القديم للذرات، هي أيضاً موجات ذات ترددات تناسب مع طاقاتها. وفقاً لنظرية الحقل، فإن كل جسيم، في الواقع، ينشد نشيده الخاص على الدوام، محدثاً أنماطاً إيقاعية من الطاقى (الجسيمات الافتراضية) بأشكال كثيفة وحاذقة.

إن مجاز الرقصة الكونية قد وجد أعمق وأجمل تعبير عنه في الهندوسية في صوري الإله الراقص شيفا. من بين تجسدهات الكثرة، يظهر شيفا، أحد أقدم الآلهة الهنود وأكثرهم شعبية، بوصفه ملك الراقصين. وفقاً للمعتقد الهندوسى، فإن كل الحياة هي جزء من عمليات إيقاعية عظيمة من الخلق والإفناء، من الموت وإعادة الولادة، ورقصة شيفا ترمز إلى هذا الإيقاع الأبدى "للحياة - الموت" الذى يستمر في دورات لا نهاية لها.

الموقف:

(أ) وصلنى مجذس نقدى لماذا اختار نجيب محفوظ أن يحكى عن أصدقاء سيرته، وليس عن سيرته

(ب) إن تصالحننا مع الجسد كوسيلة للمعرفة لن يتم بمجرد الاعتراف به من قبيل العلم المعرفى الحديث، وإنما لابد من احترام هذه الممارسات التى تتجلى في الرقص، ربما بما يقابل "حلقات الذكر" عندنا في الدين الشعبى (الصوفية الشعبية) الذى راح يتهدد مؤخراً بوصاية الدين المكتى السلطوى الملفظن .

(4) ص 144

"...في ليل براهمان، تكون الطبيعة عاطلة ولا تستطيع الرقص إلى أن يشاء "شيفا" ذلك: إنه ينهض من طربه وهو يرقص فيرسل عبر المادة الخاملة موجات نابضة من الصوت الموقظ،

من الصعب أن يجد المرء طريقة أفضل لوصف المفهوم النسبوي للزمكان.

.....من المثير للاهتمام أيضا أن نلاحظ أن كلا من الفيزيائي والبوذي يؤكدان حقيقة أن مفهوميهما للزمكان يقوم على الخبرة، على التجارب العملية في حالة الأول، وعلى الخبرة الصوفية في حالة الآخر.

الموقف

... أعتقد أنه لا يقصد "التجارب" بالمعنى المَعْمَلِي الخرفي.

ثانياً: مقتطف: من كتاب العلم والشعر

تأليف أ.أ. رتشاردز ترجمة محمد مصطفى بدوى كتب المؤلف

".. وللأسف العميق كان الكثيرون -ومنهم كيتس- مثلاً يعتقدون أن النتيجة الحتمية للتقدم العلمي هي هدم فرص وجود الشعر".

(مع أن) ".....الشعر في مقدوره أن ينقذنا، لأنه وسيلة من الوسائل التي يمكننا بها أن نتغلب على الفوضى".

الموقف

التغلب على الفوضى لا يكون بإنكارها ولا بقمعها، بقدر ما هو باستيعابها، والشعر هنا لايقوم فقط بتجديد اللغة، أو إعادة تشكيل الزمن والصورة، ولكنه يغذى الوجود معارفا كلية غامضة، ومع ذلك هي فاعلة بحيث تستوعب الفوضى الحركية الرائعة داخلنا.

ثالثاً المقتطف:

أينشتاين شاعرا (الأهرام 2005/5/30 يحيى الرخاوى)

"..... اكتشفت أنني أحب هذا الرجل اليهودي الجميل، ثم إنى رحمت أقرأه شاعرا: لا في ناتج إبداعه، وإنما من موقف حركية وجوده، وهو القائل"

"... إن أجمل ما نعيشه هو الغموض..، ومن لا يشعر بهذه العاطفة، فلا يتوقف ويختار ويقف مأخوذاً في دهشة، لئلا ميتا مغمض العينين".

أليست هذه الدهشة هي التي تلم أينشتاين فيلّمها في إبداعه شعرا سواء كان ناتجه معادلة رياضية أو موقفا وجوديا؟

علاقة أينشتاين بالدين والله سبحانه هي إثبات آخر أنه شاعر.

يقول أينشتاين أيضا:

"العلم بلا دين أعرج، والدين بلا علم أعمى"،

وهو بذلك لا يفتح الباب لهذا الجهل المزدوج المسمى "التفسير العلمى للدين"، بل إنه يغلقه ليتكاملا معا لصالح الإنسان دون وصاية أحدهما على الآخر، أو اختزال أحدهما إلى الآخر.

أينشتاين يعيد إحياء الألفاظ في سياق تشكيلى جديد، فهو الشعر، نقرأ قوله:

"علينا أن نجعل كل شئ أبسط ما يمكن، ولكن ليس أبسط من ذلك"

أو قوله:

"الثقافة هى ما يبقى بعد أن تنسى كل ما تعلمته في المدرسة."

هل نتأمل معا كلمات مثل "أبسط"، و "تنسى" و "تعلمته" لنعرف كيف تحضر الألفاظ جديدة في تشكيله هذا؟

(انتهى المقتطف من الأهرام!)

الموقف الأخير

.... إن صح كل ذلك، وهو صحيح عندي، فياليسئوليتنا المتزايدة وخاصة في التربية والتعليم،

ويالحجتنا الماسة لمراجعة علاقتنا بالعلم، والجسد، والرقص، والشعر، والصلاة، والحب، وربنا سبحانه وتعالى.

- التصوف الشرق والفيزياء الحديثة، تأليف: فريتجوف كابر، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار- سوريا- اللاذقية.

- أكرر الاستشهاد بدعاء النوم في الإسلام: باسم ربى وضعت جنى وبك أرفعه، اللهم إن قبضت نفسى فأغفر لها، وإن أرسلتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين، ثم بدعاء الاستيقاظ" اللهم إن قبضت نفسى فأغفر لها، وإن أرسلتها فأحفظها....".